# العلاقات السياسية بين المغرب و أوربا
# خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر
# من خلال الوثائق الفرنسية

عرفت العلاقات السياسية والتجارية بين المغرب ومجموعة من الدول الأوربية تحولا نوعيا خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر،في فترة حكم سيدي محمد بن عبد الله ( 1757-1790)، والذي عمل جاهدا على توجيه المغرب نحو المحيط الأطلسي الذي ازدادت أهميته التجارية مع الاكتشافات الجغرافية وما تلاها من تحولات اقتصادية في الضفة الشمالية لحوض البحر الأبيض المتوسط. حيث أن ارتفاع الإنتاج دفع بالعديد من الدول إلى البحث عن الأسواق لتصريف السلع خاصة مع تطور وسائل النقل البحرية أي السفن وارتفاع حمولتها.

ومنذ أزمة القرنين الخامس عشر والسادس عشر المتمثلة في الاحتلال الاسباني والبرتغالي للسواحل المغربية وانعكاساته السلبية على الاقتصاد والسياسة والمجتمع، أصبح الانشغال الأكبر للسلاطين هو تدعيم السلطة المركزية وإيجاد الموارد المالية لمواجهة مختلف النفقات. ولهذه الأسباب مجتمعة لجأ أحمد المنصور الذهبي إلى غزو واحتلال السودان، والمولى اسماعيل إلى تكوين جيش نظامي على غرار جيش الانكشارية التركي لفرض سيطرته على مجموع مناطق المغرب وفرض نظام ضرائبي لتوفير مداخيل لبيت المال.

إلا أن هذه التجارب باءت بالفشل. فبمجرد وفاة أحمد المنصور الذهبي سنة1603م، اندلعت حرب أهلية وانقسم المغرب إلى مجموعة من الكيانات السياسية[1] .كما أن وفاة المولى إسماعيل شكلت الشرارة لانطلاق فوضى دامت ثلاثين سنة من 1727م إلى 1757م.أما سيدي محمد بن عبد الله، ومنذ بداية مشواره السياسي، فقد عمل على توفير الحد الأدنى لتسيير الجهاز المخزني. فمنذ تعيينه خليفة على مراكش من طرف أبيه المولى عبد الله قرر فتح باب المفاوضات مع مختلف الدول الأوربية لتنمية التجارة الخارجية لضعف مداخيل الضرائب من زكوات وأعشار ومكوس و عدم ثباتها وصعوبة تحصيلها[2]. و لتحقيق

---

[1] بعد سنة 1603م ، اندلع صراعا بين أبناء أحمد المنصور الذهبي حول السلطة. و بعد فترة اقتصر حكم السعديين على مدينتي مراكش و فاس، في حين ظهرت بالأقاليم كيانات سياسية: الزاوية الدلائية في الوسط و مملكة تازروالت في سوس و حركة العلويين بتافيلالت و دول-مدن (سلا و تطوان و قيادات مستقلة في الريف الشرقي

[2] خلال فترات الجفاف و المجاعة تنخفض مداخيل بيت المال مع تدهور الانتاج الفلاحي، خاصة أن الوضعية تصبح كارثية و تؤثر على جميع الأنشطة الاقتصادية. انظر:

Rsenberger,R.,Triki,H., Famines et épidémies au Maroc au 16è et 17è siècle,in Hespéris-tamuda,vol.XIV,1973,Vol.XV,1974 , Laaroussi ,M . ,La saignée démographique au XVIIIè siècle . Les calamités et leurs conséquences , revue de la faculté des lettres de béni Mellal,n°2,1977,pp. 53-61.

الهدف عمل على عقد معاهدات و اتفاقيات وفتح الموانئ أمام الشركات والتجار بل قام ببناء مدينة تجارية: مدينة الصويرة (موكادور).

فما هي طبيعة العلاقات؟

من الصعب الفصل بين العلاقات السياسية والمبادلات التجارية لارتباطهما بالأحداث المتشابكة على الساحة الدولية وارتكازهما على مواد وبنود المعاهدات والاتفاقيات، الإطار القانوني للدبلوماسية والتجارة. وما تنبغي الإشارة إليه هو اختلاف طبيعة العلاقات حسب مصالح كل دولة. ففرنسا وبريطانيا واسبانيا وهولندا كانوا يسعون لتنمية تجارتهم الخارجية، في حين أن دولا أخرى مثل الدانمارك والسويد كن يهدفن أساسا إلى حماية سفنهن التجارية في البحر الأبيض المتوسط و المحيط الأطلسي، بل إن المغرب فرض على هذه الدول الأخيرة إتاوات مقابل الحماية.

## 1.الدول الدافعة للإتاوات

### 1.1. المغرب والدانمارك

تعتبر الدانمارك أول دولة أوروبية وقعت معاهدة للسلم والتجارة مع المغرب. وحسب الوثائق الفرنسية لعب اليهودي دو بازDe Paz والتاجر الفرنسي راي Rey المستقر بمدينة آسفي دور الوساطة بين السلطان المغربي وملك الدانمارك فريدريك الخامس Fredéric V ، حيث بعث هذا الأخير سفيرا للتوقيع على اتفاقية بين البلدين ،حصل بموجبها الدانماركيون على احتكار التجارة بمينائي آسفي و أكادير مقابل 50.000 مثقال ذهبي. كما تم تعيين راي قنصلا عاما للدانمارك بالمغرب[3]. إلا أن العلاقات المغربية الدانماركية عرفت أول أزمة سنة 1551م، عندما حاول السفير الدانماركي العقيد جون بابتيست دي كاريير Jean Baptiste des Carrières بناء حصن عسكري-تجاري بين آسفي و أكادير دون ترخيص من السلطان. فاعتقل السفير و مرافقيه[4]. وحرصا على تفادي الانعكاسات السلبية لإجراء من هذا القبيل، والذي تردد صداه في العواصم الأوربية، بعث سيدي محمد بن عبد الله رسائل إلى مختلف الحكومات الأوروبية لشرح ملابسات القضية وطمأنة التجار وحثهم على الاستمرار في مزاولة أنشطتهم. و من بين ما تم العثور عليه في الوثائق الفرنسية رسالة إلى غرفة التجارة بمارسيليا، مترجمة إلى الفرنسية، أظهر فيها السلطان أن عقاب السفير و المتورطين معه كان من باب تحقيق العدالة لإقرار النظام ولا ينقض ما تم الاتفاق عليه والالتزام به، كما أكد على ضمان أمن التجار و حريتهم[5].

ما هي ملابسات الواقعة في فترة كان السعي فيها حثيثا لتنمية المبادلات التجارية؟

---

[3] Castries,H. de, Le Maroc et le Danemark (1750-1767), in Hespéris ;n°6 ;1926,p . 331-332

[4] A.N.P. ,A .E.B1 838 ,M.G.de 1777 ,P.J.à la dépeche du 15 janvier 1777

[5] Ibid ,A.E.B1 831 ,diplôme en faveur des commerçants Marseillais du 20 septembre 1751

مما لا شك فيه، و خلال المفوضات، وعد اليهودي دو بازDe Paz والتاجر الفرنسي رايRey الدانماركيين باقامة مركز على الشاطئ المغربي لتسريع توقيع الاتفاق. ففي سنة 1759م قدم وعد مشابه لفرنسا من طرف نفس الشخص دو باز De Paz .حيث أخبر أوجيي دوق شوازيل Ogier de Choiseul، الحكومة الفرنسية بمحادثات غير رسمية " مع يهودي مغربي.....كلف فيما قبل من طرف الإمبراطور للتفاوض مع الدانمارك"، و تسلمه مذكرة تتضمن أربعة اقتراحات منها احتكار التجارة بميناء طنجة و الحصول موقع لإقامة حصن على المحيط الأطلسي[6]. إلا أن الفرنسيين كانوا حذرين في حين انساق الدانماركيون وراء الفكرة المغرية والتي لم تكن إلا وسيلة لتسريع المفاوضات و التوقيع على الاتفاق.

ورغم الأزمة، شرع في مفاوضات جديدة و تم التوقيع على معاهدة أخرى سنة 1753م منحت للدانماركيين حق احتكار التجارة بمينائي آسفي وأكادير. وعلى إثرها استقرت إحدى الشركات بالمغرب و كانت أغلبية أسهمها ملكا للملك الدانماركي و وزيره الأول. و مع انعدام المنافسة تمكنت من تحقيق أرباح هائلة[7]. و انسحبت من المغرب سنة 1766م لعدم قدرتها على منافسة الهولنديين و الانجليز و الفرنسيين[8]. وتم التفاوض بشأن معاهدة أخرى و بموجبها التزمت الدانمارك بدفع إتاوة نقدية أو ما يعدلها على شكل أسلحة وذخائر و مواد لبناء السفن. و في سنة 1770م كتب القنصل الفرنسي لويس دو شينيي Louis de Chénier :" منذ سنة 1767م وإلى غاية هذا اليوم من سنة 1770م ،أي خلال ثلاث سنوات، دفعت الدانمارك 110.000 مثقال ، منها 75.000 مثقال إتاوة للسنوات الثلاث التي أعقبت الاتفاق و الباقي عبارة عن أسلحة ومواد لبناء السفن"[9]. واستمرت الدانمارك في دفع الإتاوة حتى بعد وفاة سيدي محمد بن عبد الله.

### 2.1.المغرب و السويد

في سنة 1763م وقع المغرب والسويد اتفاقية التزمت بموجبها دفع إتاوة سنوية بقيمة 120.000 جنيه[10]، وهي أقل من الإتاوة الدانماركية. وفي سنة 1768م طلب سيدي محمد بن عبدا لله رفع المبلغ ،ولكن السويد رفضت الطلب. و استمرت في الأداء إلى غاية سنة 1771م. و انطلاقا من هذا التاريخ أخبر الملك السويدي كوستاف Gustave السلطان "بعدم خضوعه مستقبلا لأية إتاوة إجبارية ولكن سيقدم هدايا خلال المناسبات دون تحديد للتاريخ أو القيمة"[11]. و في سنة 1772م حملت فرقاطة سويدية الإتاوة و بعض الهدايا و أخبر المخزن رسميا بالقرار من طرف فان ستودنٍVan Studen،المبعوث الخاص للحكومة السويدية.ثم تلاه انسحاب القنصل من المغرب سنة 1775م[12].

---

[6] Ibid ,A .E.B1 831 , lettre du 5 juillet 1759.
[7] Castries, H.de , Art. Cite , p.240
[8] A.N.P, A.E.B1 838 ,M.G. de 1777, P.J.à la dépeche du 15 février 1777
[9] Ibid,A.E.B1 833, dépeche du 10 juillet1770
[10] A.E.B1 832 , dépeche du 29 janvier 1768
[11] Ibid A.E.B1 838, M.G.,P.J.à la dépeche du 15 fevrier 1777
[12] Ibid,A.E.B1 834, dépeche du 8 décembre 1772 et du 12 et 23 fevrier1773

### 3.1.المغرب والبندقية

كانت البندقية من الدول الدافعة للإتاوة. و بموجب اتفاقية 15 يونيو 1765م حدد المبلغ في 25.000 مثقال.إلا أن السلطان طالب بأداء إتاوة مساوية لما تدفعه للجزائر.فاضطرت إلى الرفع من القيمة لضمان أمن سفنها[13].

## 2.الدول المتاجرة مع المغرب:السلم و الأزمات

### 1.2.المغرب و هولندا

يرجع تاريخ العلاقات المغربية الهولندية حسب وثائق المصادر الأصلية لتاريخ المغرب إلى القرن السادس عشر. و خلال القرن الموالي أصبحت هولندا المزود الرئيسي لجمهورية سلا بالأسلحة[14]،بل إن الحكومة الهولندية رخصت للسفن المغربية باستعمال موانئ البلاد المنخفضة. و خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر، و رغم الأزمة السياسية و العسكرية التي تلت وفاة المولى إسماعيل سنة 1727م، فقد هيمنت كل من بريطانيا و هولندا على التجارة مع المغرب.

و لم تمنع المبادلات الكثيفة بين البلدين من حدوث أزمات ظرفية.ففي سنة 1767م حاول سيدي محمد بن عبد الله إجبار هولندا على أداء إتاوة سنوية[15]،مما اضطرها إلى إرسال سفير للتفاوض. إلا أن المحادثات باءت بالفشل لتمسك كل طرف بمواقفه. و كرد فعل قامت السفن المغربية بحجز سفينة هولندية تحت ذريعة انتماءها للأسطول الروسي، ولتحريرها طالب المغرب بفدية قيمتها 10.000 مثقال[16].و كان الهدف من هذا الإجراء إخضاع هولندا ، على غرار الدانمارك والسويد و البندقية لإتاوة سنوية. وخلال شهريوليوز سنة 1772م أمهل السلطان الهولنديين ستة أشهر للاستجابة لمطلبه.فكان الرد عنيفا،حيث أرسلت هولندا أربع سفن حربية لمحاصرة الشواطئ المغربية و مهاجمة السفن في عرض البحر[17]. و بالفعل لم تتمكن هذه الأخيرة من مغادرة الموانئ لمدة سنتين. و في سنة 1776م تمكنت فرقاطتان من حجز ثلاثة سفن تجارية هولندية. و رغم توتر العلاقات على المستوى الرسمي، استمر التبادل التجاري لوجود جالية هولندية لها مصالح تجارية كبيرة . و حرصا على الاستمرارية، منح لأفرادها رخصا تضمن لهم الأمن و الحرية[18]. انتهت الأزمة سنة 1777م حيث تم تجديد معاهدة السلم و التجارة الموقعة سنة 1752م، و حصل بموجبها

---

[13] Ibid,A.E B1 832, dépeche du 29 janvier 1768 ;A.E.B1 841 ,dépeche du 9 février 1781

[14] Coindreau,R, les corsaires de salé , casablanca, 1948

[15] A.N.P., A.E.B1 832. dépeche du 8 Juin1768

[16] .Ibid, dépeche du 17 octobre 1771

[17] Ibid , A.E.B1 837 , dépeche du 26 août 1776

[18] . Ibid . A.E.B1 838 , dépeche du 15 fevrier 1777

الهولنديون على احتكارالتبادل بميناء العرائش، كما سمح لهم بشراء القمح وتصديره بعد استصدار فتوى من طرف الفقهاء[19].

## 2.2.المغرب وانجلترا

حسب بول ماسون Paul Masson ترجع العلاقات المغربية الانجليزية إلى القرن السادس عشر. ففي سنة 1551م وصل إلى المغرب قبطان من لندن يدعى توماس ويندام Thomas Windam للاتجار[20]. و منذ هذا التاريخ عرفت المبادلات منحا تصاعديا، رغم الانخفاض في بعض الفترات المحدودة لأسباب داخلية أو دولية. و لتعزيز العلاقات أرسلت عدة سفارات أولاها تعود إلى سنة 1577م ، أي خلال العهد السعدي، عندما قدم إلى المغرب ادموند هوكان Edmond Hogan للتفاوض حول معاهدة للسلم والتجارة. و خلال القرن السادس عشر، و بعد تقوية الأسطول التجاري الانجليزي باتخاذ مجموعة من الإجراءات من بينها إصدار مرسوم الملاحة [21]،كونت انجلترا مجموعة من الشركات التجارية من بينها شركة للتبادل مع المغرب. و أصبح المغرب يصدر الجلود و الذهب و السكر مقابل الأسلحة و الأثواب.

إلا أن احتلال الانجليز لطنجة سنة1662م كان له أثر كبير على العلاقات بين البلدين، والتي اتخذت منحا جديدا بعد إخلاء الانجليز للمدينة سنة 1682م و الاستقرار بجبل طارق سنة 1704م، حيث أصبح الانجليز في أمس الحاجة لتمويل الحامية العسكرية بجبل طارق والسفن البريطانية. وفي سنة 1721م وقع الانجليز معاهدة للسلم والتجارة، جددت في السنوات التالية: 1729م، 1734م، 1750م،1751م. و بعد تولية سيدي محمد بن عبد الله تم توقيع معاهدة جديدة بفاس في 28 يوليوز 1760م[22]، نصت على احترام العلم الانجليزي و ضمنت حرية التجارة مع تحديد قيمة الرسوم الجمركية، بالإضافة إلى بنود تتعلق بالتمثيل الدبلوماسي.

عرفت العلاقات المغربية الانجليزية أول أزمة سنة 1768م عندما قامت سفينة تجارية انجليزية بشراء و تهريب الحبوب من إحدى المناطق الساحلية في الريف.فاحتج السلطان و طالب ب 8000 مثقال كمستحقات جمركية. و لرفع الضغط قطعت المبادلات بين

---

[19] Brignon et ses collaborateurs , histoires du Maroc casablanca, 1967, p. 278

[20] Masson , P. , histoire des établissements et du commerce français dans l' Afrique Barbaresque (1590-1793), Paris , 1903, p.35

[21] في سنة 1660 ،أصدرت بريطانيا مرسوم الملاحة بهدف تكوين أسطول تجاري و الإستغناء عن الأسطول الهولندي

[22] A.N.P,A.E.B1 832 , dépeche du 6 Mai 1768

جبل طارق و تطوان[23]،مما انعكس سلبا على تجار المدينة و الحامية العسكرية. ف "أرسل اليهود المستأجرون لميناء تطوان مبعوثا إلى الإمبراطور لأداء المبلغ مفضلين هذا الإجراء على تعطل الميناء"[24]. و في شهر ديسمبر من نفس السنة رفع المبلغ إلى 9000 مثقال. و لأسباب إستراتيجية تمت الإشارة إليها ، اضطر الانجليز إلى التفاوض مع المغرب. وفي شهر ماي سنة 1769م قدمت بعثة دبلوماسية إلى المغرب برئاسة سباري Spary.و لكن مهمتها باءت بالفشل. و لم تحل الأزمة إلا سنة 1770م حين عوضت انجلترا قيمة الرسوم الجمركية على الحبوب المهربة على شكل أسلحة وذخائر[25]. و في سنة 1772م فرضت انجلترا ضريبة على السفن التجارية الانجليزية.فرفض التجار الانجليز القرار وطالبوا من السلطان التدخل لإلغائه.فاستدعى هذا الأخير القنصل الذي رفض الحضور إلى القصر.فقام سيدي محمد بن عبد الله، حسب رسالة لويس دو شينيي، باتخاذ إجراءات لمقاطعة القنصل حيث منع المغاربة من خدمته أو حتى التكلم معه و أمر القناصل الأجانب بقطع علاقتهم معه مع فرض غرامة على كل من لم يمتثل للقرار. فأصبح القنصل معزولا، و غادر المغرب إلى جبل طارق. و في شهر أكتوبر عينت انجلترا قنصلا جديدا مع الإقامة في طنجة[26]. وابتدءا من هذا التاريخ تأثرت العلاقات بعاملين:

_التدهور الكارثي للإنتاج الفلاحي مع انتشار الجفاف.

_الحرب بين اسبانيا و فرنسا و انجلترا، وتعذر الاتصال بين الموانئ المغربية وجبل طارق لوجود السفن الحربية الفرنسية و الاسبانية المحاصرة للقاعدة البريطانية[27].

و في شهر يناير 1780م " طلب الانجليز من السلطان السماح لهم باستيراد 1000 عجل لتزويد جبل طارق و الأسطول". و لكن كان من الصعب تلبية الطلب للظروف الصعبة التي تجتازها البلاد، و للقرار الاسباني القاضي بتوقيف أية سفينة تتاجر مع جبل طارق. و لاسترضاء سيدي محمد بن عبد الله، حررت اسبانيا مجموعة من الأسرى المسلمين و فتحت مفاوضات احتكرت بموجبها التجارة بميناء العرائش و تطوان و طنجة. مما أدى إلى تقارب اسباني-مغربي وتدهور للعلاقات المغربية-الانجليزية و من علاماتها مغادرة القنصل الانجليزي للمغرب[28].

و مع فشل الاسبان أمام الانجليز، حدث تقارب جديد بين المغرب و انجلترا انطلاقا من سنة 1782م، وهي السنة التي أصدر فيها السلطان إعلانا بحق جميع الدول في ممارسة التجارة[29]. و نظرا للمصالح الإستراتيجية والتجارية لانجلترا، أرسلت سفارة إلى

---

[23] Ibidem

[24] Ibidem

[25].Ibid, A.E.B1 832, dépeche du 1 mai , 8 septembre et 10 novembre 1770

[26] Ibid , dépeche du 19 octobre 1772

[27] Ibidem.

[28] Ibid, dépeche du 28 septembre 1779, 10 octobre 1780, 24 décembre 1780, 15 et 9 février 1781

[29] Ibid , dépeche du 16 janvier 1782.

المغرب في شهر ماي 1783م لتجديد المعاهدة السابقة[30]. ومنذ هذا التاريخ اتخذت العلاقات طابعا عاديا.

### 3.2. المغرب و فرنسا

لم تتصل فرنسا بالمغرب إلا سنة 1532م، عندما قدم أحد النبلاء الفرنسيين المسمى أيمون دو موهون Aymon de Mohon من مدينة بريست Brest إلى فاس تحث عباءة التجارة. و مكث بالمغرب مدة اتصل خلالها بالملك الوطاسي و رجع إلى فرنسا حاملا معه رسالة من السلطان المغربي إلى الملك الفرنسي. و مما لا شك فيه أن النبيل كان جاسوسا مكلفا بجمع المعلومات. فبعد عودته إلى فرنسا قدم وصفا حماسيا لثروات البلاد[31].

و في سنة 1561م بعث الملك الفرنسي شارل التاسعCharles IX السفير روبير بوردي Robert Bordet للتفاوض مع المخزن لاحتكار تجارة السكر والنحاس[32]. و نجهل ما آلت إليه المفاوضات. ولكن ما تنبغي الإشارة إليه هو استقرار بعض التجار الفرنسيين بالموانئ المغربية، بل إن فرنسا عينت قنصلا بالمغرب سنة 1577م، كيوم برارد Guillaume Bérard على عهد الملك الفرنسي هنري الثالث Henri III . ومع تولية المولى إسماعيل، توترت العلاقات المغربية-الفرنسية لعدة أسباب منها التقارب الفرنسي-الاسباني و رفض فرنسا معاملة السلطان المغربي على قدم المساواة مع السلطان العثماني وفشل المفاوضات حول قضية الأسرى[33]. و انطلاقا من سنة 1718م توقف التمثيل الدبلوماسي لفرنسا بالمغرب و استمرت القطيعة إلى غاية تولية سيدي محمد بن عبد الله.

#### المفاوضات المغربية-الفرنسية

شرع في المفاوضات بين المغرب و فرنسا بطريقة غير رسمية بوساطة التاجر الفرنسي راي Rey الذي كان مستقرا بمدينة آسفي، بل إن السلطان أخبر التجار الأجانب بأن راي Rey خادم للمخزن و يحضى بمكانة خاصة لاستقامته، و لهذا تم تكليفه بمهمة المفوضات مع الدول الأوروبية و من بينها فرنسا[34]. و في سنة 1759م انضاف اليهودي دو بازDe Paz لعملية التفاوض، حيث أن فرنسا أصبحت تفكر جديا في عقد معاهدة مع المغرب لتنمية تجارتها و حماية سفنها في البحر الأبيض المتوسط و المحيط الأطلسي من هجمات القراصنة. و يتوفر الأرشيف الفرنسي على كمية هائلة من الوثائق، إلا أننا سنقتصر على إبراز أهم المحطات في تاريخ العلاقات السياسية بين المغرب و فرنسا.

---

[30] .Ibid , dépeche du 28 mai 1783.

[31] Roux, Charles ; Caillé , Jacque ,missions diplomatiques française à Fès ,Paris , 1955, p.7

[32] S.I.H.M, deuxième série, France, , p 767

[33] CF. Peuz , ch ., journal du consulat général de France au Maroc (1767-1782), puraphé par Louis de chénier, Casablanca , 1943, p 7

[34] .Masson, P , Op . Cit , p . 614.

ففي سنة 1761م أرسل المخزن راي Rey إلى باريس للتفاوض حول معاهدة للسلم و التجارة. إلا أن الحكومة الفرنسية رفضت الاعتراف له بصفة سفير. فتم اختيار تاجر آخر لاستكمال المهمة وهو جون جاك سلفا[35] Jean Jacque Salva . ومنذ هذا التاريخ رغبت فرنسا في الحصول على امتيازات يمكن إجمالها فيما يلي :

- تحديد قيمة الرسوم الجمركية في 3°/°
- عدم تجاوز قيمة الأسير الفرنسي 400 مثقال
- التخلي عن مكان في الساحل لإقامة حصن يضمن أمن الفرنسيين.

إلا أن المغرب رفض هذه المطالب[36]. و لدعم موقفها التفاوضي أرسلت فرنسا قطعا من أسطولها الحربي لمهاجمة السفن المغربية ولقصف المدن الساحلية. فأمطرت مدينتي الرباط و سلا بالقنابل، إلا أن الفرنسيين فشلوا في العرائش عندما حاولوا التوغل عبر النهر، حيث وقعت معركة أسر على إثرها عدد من الفرنسيين[37]. و توصلا الطرفان إلى هدنة يوم 2 أكتوبر 1765م. و انتهت المفاوضات بتوقيع معاهدة للسلم والتجارة سنة 1767م و تعيين لويس دو شينيي Louis de Chénier قنصلا بالمغرب.

**طرد القنصل لويس دو شينيي**

في سنة 1782م تم طرد القنصل الفرنسي لويس دو شينيي Louis de Chénier لتوتر العلاقات بين السلطان والقنصل المذكور. وأكد هذا الأخير في مراسلاته أن السبب يعود إلى امتناعه عن تقديم الهدايا، كما كان يفعل القناصل الآخرون.إلا أن الوثائق الفرنسية نفسها أشارت إلى توصل الحكومة الفرنسية باحتجاج رسمي من طرف سيدي محمد بن عبد الله عندما قام الأسطول الفرنسي بقصف الموانئ التونسية: بنزرت و سوسة، بل إن السلطان طلب من فرساي توضيح أسباب الهجوم[38]. و في سنة 1777م أرسل الطاهر فنيش إلى فرنسا برفقة 19 أسير فرنسي محرر من طرف السلطان[39] وحمله رسالة احتجاج إلى الحكومة الفرنسية حول سلوك القنصل الفرنسي.إلا أن فرنسا لم تعترف بالسفير إلا بعد توقيع بروتوكول يلتزم فيه السلطان بمخاطبة الملك الفرنسي بكبير المسيحيين، إمبراطور فرنسا[40].وحمل السلطان مسؤولية الحدث للويس دو شينيي Louis de Chénier و في سنة 1781م بعث السلطان السفير علي بريز إلى فرساي، فرفضت فرنسا للمرة الثانية

---

[35] A.N.P., A.E.B1 831 , lettre du 24 septembre 1759

[36] Ibid, dépeche du 25 aout 1762 et du 22 octobre 1765

[37] Cf. Lacambe, N., le chevalier de maurville et les barbaresques (27 juin 1765) ;in Rochefort et la mer , publication de l' univercité firancophonie d'été, Janzac , 1987, p. 115-130.

[38] A.N.P., A.E.B1 832, dépeche du 1er février 1771

[39] M.A.E, M.D., Maroc , , fol. 459-481

[40] .Caillé, J., les naufragés de la Louise et l' ambassade de tahar Frenich à la cour de France en 1777 , in revue de l' histoire diplomatique , Juillet – septembre 1964 , pp. 225-264., M.A.E, M.D, Maroc 2 fol 467-468

الاعتراف له بالصفة لعدم مطابقتها للأعراف الدبلوماسية. و كان بريز يحمل رسالة يطالب فيها السلطان فرنسا إعفاء القنصل من منصبه لقلة أدبه و تعنته. فمنع بريز من الوصول إلى باريس و رجع برسالة من كاتب الدولة في البحرية تحتج فيها فرنسا على عدم وجود ألقاب كبير المسيحيين إمبراطور فرنسا في الرسالة السلطانية. وفي شهر شتنبر استدعى سيدي محمد بن عبد الله القنصل إلى مراكش، وحسب هذا الأخير فقد تمت اهانته في المجلس أمام الحاضرين و طرد بطريقة مخزية[41].

بعد هذا الحادث اتجه شنيي Chénier إلى الصويرة ثم إلى طنجة. و غادر المغرب بصفة نهائية يوم 15 أكتوبر 1782م. إلا أن المصالح الإستراتيجية و التجارية دفعت فرنسل إلى تعيين قنصل جديد دو روشي [42] Du Rocher.

### 4.2.المغرب و اسبانيا

يوجد بين المغرب و اسبانيا عداوة تقليدية تعود جذورها إلى القرن الخامس عشر عندما قام الاسبان و البرتغال باحتلال السواحل المغربية. إلا أن أغلب المدن تم تحريرها باستثناء سبتة و مليلية و الجديدة (مازكان).

و رغم الاحتلال ، حاول سيدي محمد بن عبد الله التقرب من اسبانيا لعدة اعتبارات تجارية و سياسية و إستراتيجية. ففي سنة 1766م اتجه السفير المغربي أحمد الغزال إلى مدريد لإتمام المفاوضات والتوقيع على معاهدة بين البلدين، و الذي تم يوم 28 ماي 1767. وكان للاحتلال الاسباني لمدينتي سبتة و مليلة تأثير كبير على العلاقات.فرغم توقيع المعاهدة، رغب سيدي محمد في تحرير المدينتين خاصة بعد النجاح الذي حققه في مدينة مازكان.

### محاصرة مليلية

منذ سنة 1770م ،أصبح الحديث علنا عن عزم سيدي محمد بن عبد الله محاصرة سبتة و مليلية إذا رفضت اسبانيا الانسحاب من المدينتين[43]. و ابتدءا من هذا التاريخ دخلت العلاقات المغربية-الاسبانية مرحلة من التو ثر. و من علاماته الأولى قيام اسبانيا بمنع السفن المغربية من استعمال الموانئ الاسبانية. فكان الرد سريعا بمنع الاسبان من استيراد مختلف المواد من ميناء العرائش.

ولضمان نجاح الحملة، تم الإعداد لها بعناية فائقة. فقد شرع المخزن في شراء أسلحة متطورة و ذخائر. و طلب من الأتراك و الانجليز إرسال متخصصين لتدريب الجنود.

---

[41] A.N.P.,dépeche du 30 octobre 1781 ,cf., caillé ,J ., la fin du consultat de Louis de chénier , revue d histoire diplomatique ,1956, pp. 213-228

[42] A.N.P , dépeche du 6 avril 1783.

[43] . Ibid , dépeche du 24 mai 1770.

و أورد لويس دو شينيي Louis de Chénier في إحدى رسائله بتاريخ 10 نونبر 1775م ، قيام السلطان بنقل المدافع إلى شمال البلاد فيما بين 1770م و 1773م و تجميع الجنود في ضواحي الرباط[44]. و أشار الضعيف الرباطي إلى بناء حي خاص لهذا الغرض حيث تم جمع العبيد و الاوداية و وصل عدد العبيد إلى 7500 و الاوداية إلى 2500[45]. بل إن السلطان حاول خلق تحالف مع الجزائر و دفعها لمحاصرة وهران لتشتيت قوة الاسبان[46]. و في شهر ماي 1773م وجه إنذارا لاسبانيا لإخلاء المدن المحتلة في أجل لا يتعدى ثلاثة أشهر[47]. و في نهاية 1774 ركز السلطان مجموع قواته قرب مليلية. و فشل الهجوم الأول لكثافة نيران المدافع، و لصعوبة اقتحام المدينة، فحوصرت مليلية و قصفت بشدة[48]. و حسب القنصل الفرنسي وصلت مصاريف الحرب إلى 30 مليون جنيه و هو "مبلغ ضخم لدولة فقيرة و منهكة"[49].

و ترجع أسباب الفشل إلى حصانة مليلية و قربها من اسبانيا حيث يسهل تزويدها من البحر. كما أن تواجد الانجليز بجبل طارق جعل الاسبان أكثر تمسكا بالمدينتين لدورهما الاستراتيجي في حالة اندلاع نزاع مسلح مع انجلترا. ففي سنة 1779م ، عندما حاصر الاسبان جبل طارق لعبت المدينتين دورا مركزيا في الحرب. ولتضييق الخناق تفاوضت مع المغرب لاحتكار التجارة بميناء العرائش و طنجة و تطوان مقابل 100.000 مثقال لقطع التمويل على جبل طارق.

و بعد هذا الفشل، حاولت الدولتان إعادة العلاقات لما كانت عليه للمصالح المشتركة بينهما . ففي ماي 1775م أرسل السلطان أحمد الغزال إلى طنجة للتفاوض حول معاهدة جديدة[50]، فاتخذت إجراءات من الطرفين لتنقية الأجواء، على سبيل المثال ما و قع سنة 1776م، حين لجأت سفينة اسبانية إلى ميناء العرائش، فتم حجزها من طرف السلطات المحلية، ولكن بمجرد و صول الخبر إلى السلطان أمر بتسريح السفينة و دفع تعويض من أول يوم للحجز.أيضا توقيف حاكم سبتة للضابط المسؤول عن قصف سفينة مغربية[51]. لكل هذا عرفت الدبلوماسية نشاطا كثيفا بين 1777م و 1779م ، انتهى بتوقيع اتفاقية 30 ماي 1780م.

---

[44] Ibid , dépeche du 24 mai 1775.

[45] الضعيف الرباطي ، تاريخ الصفيف الرباطي ، تحقيق محمد البوزيدي الشيخي، الدار البيضاء، 1988،ج 1 ،ص 360.

[46] . A.N.P.,dépeche du 12 mai 1773

[47] Ibid, dépeche du 28 mai 1773

[48] Ibid, dépeche du 6 octobre 1775

[49] .Chénier, Louis de ; recherches historique sur les Maures et histoire de l'empire du Maroc , Paris , 1787 , T 3 , p 494.

[50] . A.N.P., M.G. de 1777, P.J. à la dépeche du 15 janvier 1777.

[51] Ibid , dépeche du 28 septembre 1777.

## 3 . المغرب و الدول الأخرى

في السنوات الأولى لم يقم سيدي محمد بن عبد الله بأية محاولة للتقرب من البرتغال لضعف المبادلات التجارية بين البلدين و استمرار الاحتلال البرتغالي لمدينة الجديدة (مازاكان). و منذ سنة 1768م أخد المخزن في الاستعداد العسكري لتحرير مازاكان[52]. فشرع في تجميع القوات بمنطقة دكالة، كما تم نقل المدافع والذخائر[53]. ابتدأ الحصار في بداية سنة 1769م. فقررت الحكومة البرتغالية إخلاء المدينة، و تم إرسال ثلاث عشرة سفينة لترحيل البرتغاليين بعد تدمير مازاكان و التي وقعت بها انفجارات ضخمة بعد الانسحاب. و في سنة 1769م أرسلت لشبونة امانويل دي بونتيس Emmanuel de Pontes لعقد هدنة لمدة سنة والتي تم تجديدها سنة 1770م و 1771م. كما تم تبادل الأسرى و الهدايا بين البلدين. و توجت العلاقات بتوقيع معاهدة على غرار المعاهدات الموقعة مع الدول الأخرى.

كما تم عقد معاهدات مع دول لم تكن تربطها بالمغرب علاقات تجارية أو سياسية. ففي سنة 1781م بدأت المفاوضات مع مدينة هامبورغ و استمرت إلى غاية سنة 1782م حيث وقعت معاهدة لازال نصها مفقودا. وفي سنة 1783م تم إرسال باشا طنجة محمد بن عبد الملك إلى فلورنسا و فيينا، وفي هذه المدينة الأخيرة وقعت معاهدة بتاريخ 17 أبريل 1783م[54]. كما تم التوقيع على معاهدة مع الولايات المتحدة الأمريكية سنة1786م عندما زار السفير الأمريكي المغرب توماس براكلاي Thomas Barclay. وهي آخر معاهدة وقعت في عهد سيدي محمد بن عبد الله.

لقد شكلت مجموع هذه المعاهدات والاتفاقيات الإطار القانوني للعلاقات المغربية الأوروبية سواء على المستوى السياسي أو التجاري إلى غاية سنة 1856م تاريخ توقيع المعاهدة المغربية-الانجليزية، و التي حصل بموجبها الانجليز على امتيازات و تنازلات، امتدت إلى مجموع الدول الأوروبية بموجب بند الدولة المفضلة الوارد في المعاهدة المغربية-الفرنسية سنة 1767م. و هكذا يعتبر سيدي محمد بن عبد الله مهندس المغرب الحديث حسب تعبير عبد الله العروي.

## 4.لائحة المعاهدات و الاتفاقيات و الهدن

1. معاهدة مع الدانمارك: 18 يونيو 1753م
2. معاهدة مع الدانمارك :21 فبراير 1754م
3. معاهدة مع الدانمارك:24 ماي 1754م
4. معاهدة مع ابريطانيا:28 يوليز 1760م

---

[52] Ibid , dépeche du 14 octobre 1768.
[53] Ibid ,dépeche du 30 novembre 1768.
[54] Caillé , J. , les accords … , p . 40.

5.معاهدة مع السويد: 16 ماي 1763م
6. معاهدة مع البندقية : 15 يونيو 1765م
7. هدنة مع فرنسا :10 أكتوبر 1765م
8. معاهدة مع اسبانيا : 28 ماي 1767م
9.معاهدة مع فرنسا : 28 ماي 1767م
10. معاهدة مع الدانمارك: 27 نونبر 1767
11 .معاهدة مع البرتغال: 27 نونبر1773م
12. معاهدة مع هولندا : 10 شتنبر1777م
13.معاهدة مع السويد :10 شتنبر 1777م
14.معاهدة مع توسكانيا 6 فبراير 1778
15. اتفاقية مع الاسبان: 30 ماي 1780م
16. معاهدة مع صقلية : 18 أكتوبر 1782
17. معاهدة مع النمسا : 17 أبريل 1783م
18. اتفاقية مع ابريطانيا :26 ماي 1783م
19. معاهدة مع الولايات المتحدة الأمريكية : يونيو 1786م

**الهوامش**

مفتاح الرموز المستعملة في الهامش

A.N.P. : Archives nationales de Paris
A.E. : Affaires étrangères
S.I.H.M. :Sources inedites de l'histoire du Maroc
M.A.E. : Ministère des affaires étrangères
M.D. : Mémoires et documents
M.G. :Mémoire général
P.J. : Pièce jointe

1. بعد سنة 1603م ، اندلع صراعا بين أبناء أحمد المنصور الذهبي حول السلطة. و بعد فترة اقتصر حكم السعديين على مدينتي مراكش و فاس، في حين ظهرت بالأقاليم كيانات سياسية: الزاوية الدلائية في الوسط و مملكة تازروالت في سوس و حركة العلويين بتافيلالت و دول-مدن (سلا و تطوان و قيادات مستقلة في الريف الشرقي.

2. خلال فترات الجفاف و المجاعة تنخفض مداخيل بيت المال مع تدهور الانتاج الفلاحي، خاصة أن الوضعية تصبح كارثية و تؤثر على جميع الأنشطة الاقتصادية. انظر:
Rsenberger,R.,Triki,H., Famines et épidémies au Maroc au 16è et 17è siècle,in Hespéris-tamuda,vol.XIV,1973,Vol.XV,1974 , Laaroussi ,M . ,La saignée démographique au XVIIIè siècle . Les calamités et leurs conséquences , revue de la faculté des lettres de béni Mellal,n°2,1977,pp. 53-61.

3.Castries,H. de, Le Maroc et le Danemark (1750-1767), in Hespéris ;n°6 ;1926,p . 331-332

4.A.N.P. ,A .E.B1 838 ,M.G.de 1777 ,P.J.à la dépeche du 15 janvier 1777

5. Ibid ,A.E.B1 831 ,diplôme en faveur des commerçants Marseillais du 20 septembre 1751

6. Ibid ,A .E.B1 831 , lettre du 5 juillet 1759.

7. Castries, H.de , Art. Cite , p.240

8.A.N.P, A.E.B1 838 ,M.G. de 1777, P.J.à la dépeche du 15 février 1777

9.Ibid,A.E.B1 833, dépeche du 10 juillet1770

10.A.E.B1 832 , dépeche du 29 janvier 1768

11. Ibid A.E.B1 838, M.G.,P.J.à la dépeche du 15 fevrier 1777

12.Ibid,A.E.B1 834, dépeche du 8 décembre 1772 et du 12 et 23 fevrier1773

13.Ibid,A.E B1 832, dépeche du 29 janvier 1768 ;A.E.B1 841 ,dépeche du 9 février 1781

14.Coindreau,R, les corsaires de salé , casablanca, 1948

15.A.N.P., A.E.B1 832. dépeche du 8 Juin1768

16.Ibid, dépeche du 17 octobre 1771

17.Ibid , A.E.B1 837 , dépeche du 26 aoùt 1776

18. Ibid . A.E.B1 838 , dépeche du 15 fevrier 1777

19.Brignon et ses collaborateurs , histoires du Maroc casablanca, 1967, p. 278

20.Masson , P. , histoire des établissements et du commerce français dans l’ Afrique Barbaresque (1590-1793), Paris , 1903, p.35

21 .في سنة 1660 ،أصدرت بريطانيا مرسوم الملاحة بهدف تكوين أسطول تجاري و الإستغناء عن الأسطول الهولندي

22. A.N.P,A.E.B1 832 , dépeche du 6 Mai 1768

23. Ibidem

24.C

25.Ibid, A.E.B1 832, dépeche du 1 mai , 8 septembre et 10 novembre 1770

26.Ibid , dépeche du 19 octobre 1772

27. Ibidem.

28.Ibid, dépeche du 28 septembre 1779, 10 octobre 1780, 24 décembre 1780, 15 et 9 février 1781

29.Ibid , dépeche du 16 janvier 1782.

30.Ibid , dépeche du 28 mai 1783.

31.Roux, Charles ; Caillé , Jacque ,missions diplomatiques française à Fès ,Paris , 1955, p.7

32.S.I.H.M, deuxième série, France, , p 767

33.CF. Peuz , ch ., journal du consulat général de France au Maroc (1767-1782), puraphé par Louis de chénier, Casablanca , 1943, p 7

34.Masson, P , Op . Cit , p . 614.

35.A.N.P., A.E.B1 831 , lettre du 24 septembre 1759

36.Ibid, dépeche du 25 aout 1762 et du 22 octobre 1765

37. Cf. Lacambe, N., le chevalier de maurville et les barbaresques (27 juin 1765) ;in Rochefort et la mer , publication de l' univercité firancophonie d'été, Janzac , 1987, p. 115-130.

38.A.N.P., A.E.B1 832, dépeche du 1er février 1771

39.M.A.E, M.D., Maroc , , fol. 459-481

40.Caillé, J., les naufragés de la Louise et l' ambassade de tahar Frenich à la cour de France en 1777 , in revue de l' histoire diplomatique , Juillet – septembre 1964 , pp. 225-264., M.A.E, M.D, Maroc 2 fol 467-468

41.A.N.P.,dépeche du 30 octobre 1781 ,cf., caillé ,J ., la fin du consultat de Louis de chénier , revue d histoire diplomatique ,1956, pp. 213-228

42.A.N.P , dépeche du 6 avril 1783.

43. Ibid , dépeche du 24 mai 1770.

44. Ibid , dépeche du 24 mai 1775.

45 .الضعيف الرباطي ، تاريخ الصفيف الرباطي ، تحقيق محمد البوزيدي الشيخي، الدار البيضاء، 1988،ج 1 ،ص 360.

46. A.N.P.,dépeche du 12 mai 1773

47.Ibid, dépeche du 28 mai 1773

48. Ibid, dépeche du 6 octobre 1775

49.Chénier, Louis de ; recherches historique sur les Maures et histoire de l'empire du Maroc , Paris , 1787 , T 3 , p 494.

50. A.N.P., M.G. de 1777, P.J. à la dépeche du 15 janvier 1777.

51.Ibid , dépeche du 28 septembre 1777.

52. Ibid , dépeche du 14 octobre 1768.

53. Ibid ,dépeche du 30 novembre 1768.

54. Caillé , J. , les accords … , p . 40.